التناسب بين السور المبتدئة بـــ (هل)

إعداد

الباحثة / إبتسام عبدالناصر سيد

باحثة ماجستير في الآداب تخصص اللغة العربية

كلية الآداب ـ جامعة أسيوط

تاريخ الاستلام: ٣٠/ ٧/ ٢٠٢١م

تاريخ القبول: ٢٣/ ٨/ ٢٠٢١م

ملخص:

هذا بحث يتعلق بالتناسب بين سورتي الإنسان والغاشية؛ وذلك لكونهما ذات مطلق واحد فكلتا السورتين ابتدأتا ب "هل" وبينهما من أوجه التناسب والإعجاز ما يحتاج إلى تأمل ونظر.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي لمطلع سورتي الإنسان والغاشية.

خطة البحث: قد قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، ذكرت في المقدمة الأهمية والمنهج والخطة، وجاء المبحث الأول بعنوان التناسب اللفظي بين سورتي الإنسان والغاشية، أما المبحث الثاني فتكلمت فيه عن التناسب بين الاسم والسورة، وأما المبحث الثالث فكان بعنوان التناسب بين السورتين إجمالا وتفصيلا، ثم المبحث الرابع وجاء بعنوان التناسب بين السورتين وحدة الخطاب والموضوع، ثم خاتمة بها أهم النتائج والتوصيات وثبت به أهم المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: التناسب– المطلع– اللفظي– الإجمال– التفصيل.

Abstract:

This research is related to the proportionality between the two surahs of Al-Insan and Al-Ghashiah.. because they are one and the same absolute

Research Methodology:

In this research.. I followed the inductive and analytical approach to the beginning of Surat Al-Insan and Al-Ghashiyyah.

Research plan:

I divided the research into an introduction.. four chapters and a conclusion. In the introduction.. I mentioned the importance.. method.. and plan. The first topic came under the title of verbal proportionality between the two surahs of Al-Insan and Al-Ghashia As for the second topic.. I talked about the proportionality between the name and the surah

As for the third topic.. it was entitled the proportionality between the two surahs in general and in detail.. then the fourth topic was entitled the proportionality between the two surahs.. the unity of discourse and the subject.. and then a conclusion with the most important results and recommendations.. and the most important sources and references were proven by it...

keywords: Proportionality - insider - verbal - summation - detail

مقدمة:

الحمد لله الذي زين قلوب أوليائه بأنوار الفرقان، وهذب ألسنة أحبائه بدرر البيان، وسقى أسرار كتابه لأولي العرفان،، فأبصروا معجزة القرآن، واضحة بساطع البرهان،، وأدركوا مطالع الأنوار،، وما احتوت عليه من أفنان،، وصل اللهم وسلم على النبي العدنان،، وعلى آله وأصحابه ذوي التقى والرضوان وبعد، ، ،،

فإن يقين الأمر وبداهة الاعتقاد التسليم بعظمة القرآن الكريم، وأنه أجل وأكبر من أن يحاط بإعجازه وبأسراره علمًا،؛ إذ لا علم لنا منه إلا ما علمنا ربنا جل شأنه بخبر الصادق المعصوم، أو ما أكدته الوقائع والأحداث في واقع الناس المشهود.

وعلم المناسبة وجه من أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ لأنه يُعنى بعلل ترتيب آيات القرآن وسوره وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، فهو من ألصق الأبواب بعلم البلاغة حيث تتجلى بلاغة النمط العالي المعجز بأن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه هنا في حال ما يضع بيساره هناك [1].

والتناسب بين مطالع السور درب من دروب الإعجاز الذي يكشف عن العلائق والأنساب بين السور ذات المطلع الواحد تفصيلًا وإجمالًا؛ إذ اختصت كل منها بذات المطلع وهو أدل ما يكون عن تلك الأواصر التي تجمع بينها.

وإن المتأمل لآيات سورتي الإنسان والغاشية يتبدى له من اللطائف ما يستقر عنده القلب ويعمل فيه العقل ليعلم أنه كلام معجز صيغت حروفه بنظم جامع الإحكام.

منهج البحث: اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي لمطلع سورتي الإنسان والغاشية.

خطة البحث: قد قسمت البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، ذكرت في المقدمة الأهمية والمنهج والخطة، وجاء المبحث الأول بعنوان التناسب اللفظي بين سورتي

الإنسان والغاشية، أما المبحث الثاني فتكلمت فيه عن التناسب بين الاسم والسورة، وأما المبحث الثالث فكان بعنوان التناسب بين السورتين إجمالا وتفصيلا، ثم المبحث الرابع وجاء بعنوان التناسب بين السورتين وحدة الخطاب والموضوع، ثم خاتمة بها أهم النتائج والتوصيات وثبت به أهم المصادر والمراجع..

المبحث الأول ـ التناسب اللفظي بين سورتي الإنسان والغاشية:

إن المتأمل في مطلع السورتين يلحظ تناسبا لفظيًا بين المطلعين أولًا حيث ورد لفظان بينهما رابط في المعني وذلك في لفظ (مذكورًا) في مطلع سورة الإنسان ولفظ (حديث) في مطلع سورة الغاشية؛ فلفظة "مذكورا ذكَرَ يَذكُر، ذِكْرًا وذُكْرًا وذِكْرى وتَذكارًا وتِذكارًا، فهو ذاكِر، والمفعول مَذْكور ذَكَرَ اسْمَهُ:: جَرَى على لِسانِهِ، اِنْطَلَقَ بِهِ ذكَر فلانٌ الشَّيءَ لفلانٍ: أعلمه به وذكَّره إيّاه وذَكَرْتُ الشَّيْءَ، خِلَافُ نَسِيتُهُ. ثُمَّ حُمِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ" (٢).

قال الضحاك عن ابن عباس: لا في السماء ولا في الأرض. وقيل: أي كان جسدًا مصوّرًا ترابًا وطينًا، لا يُذكَر ولا يُعرَف، ولا يُدرَى ما اسمه ولا ما يراد به، ثم نُفِخ فيه الرُّوح، فصار مذكورًا؛ ثم لما عَرَّف الله الملائكة أنه جعل آدم خليفة، وحمَّله الأمانة التي عجز عنها السموات والأرض والجبال، ظهر فضله على الكل، فصار مذكورًا وقال قوم: النفي يرجع إلى الشيء؛ أي قد مضى مُدَد من الدهر وآدم لم يكن شيئًا يذكر في الخليقة؛ لأنه آخر ما خلقه من أصناف الخليقة، والمعدوم ليس بشيء حتى يأتي عليه حين. والمعنى: قد مضت عليه أزمنة وما كان آدم شيئًا ولا مخلوقًا ولا مذكورًا لأحد من الخليقة(٣).

وقوله: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)(٤) الحَدِيث:: كلُّ ما يُتحدَّث به من كلامٍ "قال ابن عباس: لم يكن أتاه قبل ذلك على هذا التفصيل المذكور هاهنا. وقيل: إنها خرجت

مخرج الاستفهام لرسوله؛ ومعناه إن لم يكن أتاك حديث الغاشية فقد أتاك؛ وهو معنى قول الكلبيّ"[٥].

فبين الذكر والحديث قرابة لفظية جمعت بين المطلعين وهي تومئ استهلالًا بما بينهما من لطيف المناسبة.

المبحث الثاني ـ التناسب بين الاسم والسورة:

إن المتأمل في ثنايا السورتين يستشعر أن كلا منهما اختصت بذكر ما ناسب مسماها حيث تناولت سورة الإنسان الحديث عن مبدأ الحياة وبداية الخليقة فافتتحت بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٦]

فقال جل ذكره مخبرًا عن الإنسان، أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئًا يذكر لحقارته وضعفه، فقال تعالى: {هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا}، ثم بيّن ذلك فقال جل جلاله: {إِنَّا خَلَقْنَا ٱلإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ} أي أخلاط، والمشج والمشيج: الشيء المختلط بعضه في بعض، قال ابن عباس: يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا"[٧] ثم فصلت آياتها الحديث عن سعي الناس في الدنيا وأحوال الشاكر منهم والكافر أيضا؛ فكانت بداية الخليقة وانبثاق الحياة من اللاوجود وقد ناسب ذلك مسماها.

أما في سورة الغاشية فقد دارت جل آياتها حول الحديث عن الحياة الآخرة ووصف بعض مشاهدها، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ(١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ(٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً(٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ(٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ(٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ(٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ(٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ(٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(١٠).[٨].

(هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ): أي هل بلغك نبأ يوم القيامة وعلمت قصصه، وأننا سنعلمك شأنه الخطير ثم فصل شأن أهل الموقف في ذلك اليوم، وذكر أن أهله فريقان: فريق الكفرة الفجرة، وفريق المؤمنين البررة[٩].

فالحديث عن بدء الخليقة وإيجاد الخلق من العدم في سورة الإنسان ومن ثم اندلاع الحياة وسعي الإنسان فيها إما شاكرا وإما كافورا، واختصاص سورة الغاشية بالحديث عن موقف يوم القيامة وبعض أحداثها يخلق تناسبا تكامليا بين السورتين، وإنك لتستشعر هذه اللطيفة بدءا من مسمى السورتين ثم مطلعهما ثم مضامين آيها.

المبحث الثالث ـ التناسب بين السورتين إجمالا وتفصيلا:

وإن من عجيب المناسبة بين السورتين ما أشير إليه في واحدة إجمالا وفُصل في الأخرى، وقد جاء ذلك في غير موضع بين السورتين ومن أولى هذه المواضع أنه سبحانه قسم الخلق إلى فريقين في الدنيا والآخرة في السورتين ففريق هدى (المؤمنون) وفريق حقت عليه الضلالة (الكافرون)؛ حيث أشار سبحانه إلى الفريقين في سورة الإنسان فقال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ وقد قسم سبحانه الفريقين أيضا في سورة الغاشية بقوله جل ذكره: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ(٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً(٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ(٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ(٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ(٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ(٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ(٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(١٠)﴾ فتناسبت السورتان في تقسيم الفريقين بين مؤمن وكافر وحال كل فريق منهم في الدارين.

ثم لما كان الحديث عن جزاء الفريقين كان موضع مناسبة آخر بين السورتين فأشار سبحانه إلى جزاء الفريق الأول – الكافرين– في آية واحدة في سورة الإنسان، فقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالا وَسَعِيرًا ﴾، ثم فصل الحديث عنهم وعن جزائهم في سورة الغاشية ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧)﴾

ذكر السمرقندي: * "{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ} يعني من الوجوه وجوه يومئذ خائفة ذليلة في العذاب وهي وجوه الكفار ثم قال {عَامِلَةٌ} يعني تُجَرُّ على وجوهها في النار {نَّاصِبَةٌ} يعني من تعب وعذاب في النار ويقال (عاملة ناصبة) يعني تكلف الصعود على عتبة ملساء من النار فيرتقيها في عناء ومشقة فإذا ارتقى إلى ذروتها هبط منها إلى أسفلها. {تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً} يعني تدخل نارًا حارة قد أوقدت ثلاثة آلاف سنة حتى اسودّت فهي سوداء مظلمة ... إلى أن قال ليس لهم طعام إلا من ضريع، والضريع نبات بين طريق مكة واليمن فإذا أكل الكفار منه بقي في حلقهم"[١٠]، ففصل سبحانه جزاء الكافرين ووصف حالهم ودارهم في سورة الغاشية بعد أن أشار إلى ذلك في سورة الإنسان.

ولم يكن هذا التناسب بين السورتين في الحديث عن الكافرين فحسب بل لقد تناغمت آيات السورتين في الحديث عن جزاء الفريق الآخر –المؤمنين الأبرار– حتَّى ليستشعر المتأمل لآياتهما أن كل آية جاءت في الحديث عن المؤمنين يسمع صداها في السورة الأخرى فيصف سبحانه نعيم الأبرار فيذكر ما أعد لهم؛ فذكر سبحانه أول ما أعد لهم في السورتين وقايتهم شر ذلك اليوم ونضرة وجوههم، قال تعالى (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا)[١١]، ذلك اليوم هو إشارة إلى يوم الغاشية وأشار سبحانه إلى نضرة وجوههم أيضا؛ فقال تعالى: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ)[١٢]

ثم جاء بذكر موعوده لهم عز اسمه بالجنة في السورتين فقال (وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا)[١٣]، وقال تعالى (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ).

ثم جاء الحديث عن العين التي يشرب منها ذوو النعيم؛ فقال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾، ويشير سبحانه إلى هذه العين في سورة الإنسان بقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، وفي موضع آخر ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾[١٤]

ثم يصف سبحانه مقعدهم في الجنة في سورة الغاشية؛ فيقول ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴾، ويشير إليه في سورة الإنسان بقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

ويصف سبحانه ما يتلذذون به وما يسقونه بنعيم أعد لهم؛ فيقول: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾، ويصف سبحانه تلك الأكواب في سورة الإنسان بقوله: (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا).

ودلالة ذلك أن تناسب السورتين في هذا الموضع لم يكن في الحديث عن جزاء المؤمنين في السورتين فحسب، بل لقد تعانقت المقاطع حتى تناسب الحديث عن أوجه النعيم ذاته التي ذكرت في السورتين؛ فخص سبحانه من أوجه النعيم أمان هؤلاء يوم الغاشية ونضرة وجوههم والعين التي يسقون منها شرابا طهورا وأكواب موضوعة كان مزاجها كافورا متكئين على سرر مرفوعة وهي من أدق المناسبات وأعجبها.

بل إن من خفي المناسبة ولطيفها أيضا حديثه جل ذكره عن سعي هؤلاء الأبرار؛ فقد أشار سبحانه إلى سعيهم في سورة الغاشية؛ فقال تعالى: ((لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ)، وفصل سبحانه هذا السعي تفصيلا في سورة الإنسان؛ فقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا(٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا(٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا(١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾

ذكر البيضاوي "{يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ} استئناف ببيان ما رزقوه لأجله كأنه سئل عنه فأجيب بذلك، وهو أبلغ في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات؛ لأن من وفى بما أوجَبه على نفسه لله تعالى كان أوفى بما أوجبه الله تعالى عليه. {وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ } شدائده. {مُسْتَطِيرًا } فاشيًا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر، وهو أبلغ من طار، وفيه إشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي[١٥].

فقد فصل سبحانه هذا السعي وانطوت الآيات على أوصاف أصحابه إلى أن قال جل ذكره: (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا) ذلك السعي الذي أشارت إليه سورة الغاشية ((لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ)، قال الفخر "قوله: {إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء} إشارة إلى الأمر الذي به تصير النفس راضية من ربه وقوله: {وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا } إشارة إلى كونها مرضية لربه، ولما كانت هذه الحال أعلى المقامات وآخر الدرجات لا جرم وقع الختم عليها في ذكر مراتب أحوال الأبرار والصديقين[١٦].

ثم كان غاية الحسن حين اختار جل ذكره تفصيل سعي الإنسان في سورة الإنسان فناسب ذلك مسماها، وأشار إليه بمحض الإشارة في سورة الغاشية فناسب ذلك مسماها أيضا فلا سعي يغني يومئذ ولا شفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا.

المبحث الرابع- التناسب بين السورتين وحدة الخطاب والموضوع:

والمتأمل في آيات السورتين يجد مناسبة خاصة حيث خاطب الله نبيه في كلتا السورتين خطابا واحدا دارت آياته حول موضوع واحد وهو الرسالة وبلاغه لها صلى الله عليه وسلم وتعامله مع الكافرين وكل من أبدى العند والتكبر.

فخاطبه في سورة الإنسان؛ فقال جل شأنه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا(٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا(٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا(٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا(٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا(٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا(٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا(٢٩).

وقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ القُرآنَ تَنْزِيلًا} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–: إنا نحن نزّلنا عليك يا محمد هذا القرآن تنزيلًا، ابتلاء منا واختبارًا {فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} يقول: اصبر لما امتحنك به ربك من فرائضه، وتبليغ رسالاته، والقيام بما ألزمك القيام به في تنزيله الذي أوحاه إليك {وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أو كَفُورًا}

يقول: ولا تطع في معصية الله من مشركي قومك آثمًا يريد بركوبه معاصيه، أو كفورًا: يعني جحودًا لنعمه عنده، وآلائه، فهو يكفر به، ويعبد غيره[١٧]، ثم يقرر سبحانه أن هذه تذكرة، وأنه صلى الله عليه وسلم مكلف بها وبالصبر عليها.

وفي سورة الغاشية خاطب جل شأنه نبيه –صلى الله عليه وسلم–؛ فقال: فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ(٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ(٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ(٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ(٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ(٢٦).

قال الطبري: "قوله تعالى ذكره لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–: {فَذَكِّرْ} يا محمد عبادي بآياتي، وعظهم بحججي، وبلِّغهم رسالتي {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} يقول: إنما أرسلتك إليهم مذكرًا، لتذكرهم نعمتي عندهم، وتعرّفهم اللازم لهم، وتعظهم. وقوله: {لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ} يقول: لست عليهم بمسلَّط، ولا أنت بجبار، تحملهم على ما تريد. يقول: كِلهم إليَّ، ودعهم لي وحكمي فيهم"[١٨]، فخص الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخطاب واحد في السورتين حيث أمره بالبلاغ والتذكرة وعرفه حدود دعوته وغاية رسالته وألزمه ما أوحى به إليه وأوصاه بالصبر عليه.

وجملة ذلك أن تماثل السورتين في المطلع تجعل المتأمل يستشرف تناسبا بين آيها ومضامينها، بل ألفاظها كذلك، وإعجاز ذلك أن تستشعر أن بين السورتين روحا واحدة تسري بين آياتها فتتعانق مقاطعها وتتلاحم معانيها وتتناسب مقاصدها حتَّى تبدو كإخوة من رحم واحد فإذا ما قرأت سورة وتأملت ما فيها، ثم أقبلت علي قرينتها في المطلع تمليك نفسك نداء قرينتها عليها ويتبدى لك علائق النسب بينهما.

الخاتمة

الحمد الله في الأولى والآخرة، وصلاة وسلاما على النبي المجتبى، وعلى آله وصحبه ذوي التقى وبعد، فهذا بحث أردت من خلاله تصوير علم المناسبات، وتطبيقه على سورتي الإنسان والغاشية قاصدة بيان لحمة التناسب والاعتلاق على كل مستوى من مستويات التدبر القرآني بينهما، داعية إلى النظر في سور القرآن قاطبة من خلال وجوه التناسب المتعددة التي أدرتها على سورتي الإنسان والغاشية، وقد خلص البحث إلى عدة نتائج وتوصيات، ومن أهم هذه النتائج:

١- أهمية علم المناسبات؛ إذ برز من خلاله أسرار عدة أثرت على وجوه الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

٢- ظهور التناسب بين سورتي الإنسان والغاشية في ذاتهما من حيث مناسبة المطالع والمقاصد، والتناسب بين الآيات، ومناسبة الخاتمتين.

٣- كما ظهر من خلال هذه الدراسة تناسب سور القرآن الكريم على كافة المستويات عامة وما تحمله السور ذات المطلع الواحد من لطائف خاصة، وفي ذلك رد مكين على أوهام المستشرقين والحاقدين وغيرهم من الذين شككوا في ترابط القرآن الكريم وإحكامه.

ومن أهم التوصيات:

١- الدعوة إلى عمل مشروع أكاديمي يتعلق بتدبر القرآن على جميع مستوياته المختلفة مع الاهتمام بأوجه التناسب بين السور في مقاصدها ومطالعها وخواتيمها وأسمائها وترتيبها، وغير ذلك مما يعين على تدبر القرآن الكريم ويظهر إعجازه البياني وبلاغته فهو كلام الله الذي لا يماثله كلام وأوجه إعجازه لا تنتهي أبدا على مر الدهور والأزمان.

الهوامش

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٠٦/٢.

(٢) ينظر مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٢، ص٣٥٨

(٣) ينظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي، ج١٩، ص١٠٦

(٤) [الغاشية: ١]

(٥) ينظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي، ج٢٠، ص٢٤

(٦) [الإنسان: ١-٥]

(٧) ينظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٨، ص٢٨٥

(٨) [الغاشية: ١-١٠]

(٩) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ج٣٠ ص ١٣١

(١٠) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي، ج٣، ص٥٧٤.

(١١) الإنسان ١١

(١٢) الغاشية٨

(١٣) الإنسان ١٢.

(١٤) الإنسان(١٨).

(١٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ج٥ ص ٢٧٠.

(١٦) ينظر مفاتح الغيب الرازي، ج٣٠، ص٢٥٥.

(١٧) ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري ج٢٩ ص٢٧٧.

(١٨) ينظر: المصدر نفسه ج٢٤ ص٣٩١.

ثبت المصادر والمراجع

١- إبراهيم البقاعيّ، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور تحقيق: عبدالرّزاق غالب المهدي، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، سنة: ١٩٩٥م: ٢/١٥٥.

٢- ابن الزّبير الغرناطي، البرهان في ترتيب سور القرآن، طبعة وزارة الأوقاف والشّئون الإسلامية بالمغرب/ دراسة وتحقيق: الأستاذ محمّد شعباني.

٣- أبو حيّان الأندلسي، النّهر الماد من البحر المحيط/ تحقيق: عمر الأسعد، ط١، دار الجيل، بيروت– لبنان، سنة ١٩٩٥م

٤- الإمام الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت لبنان.

٥- السيوطي، قطف الأزهار في كشف الأسرار، أحمد بن محمد الحمادي إصدار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر ١٩٩٤/هـ١٤١٤ ط١.

٦- الشّوكانيّ، فتح القدير: الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير/ تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط٢، دار الوفاء بالمنصورة، سنة، ١٩٩٧م.

٧- الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس١٩٩٧م.

٨- جلال الدّين السّيوطي، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع/ تحقيق: محمّد يوسف الشّربجي، مكتبة الأحمدية العدد الرّابع، دبي: ١٩٩٩م.

٩- الفخر الدّين الرّازي، التّفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، ط٣، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت– لبنان، سنة ١٤٢٠.

١٠–محمّد بن يعقوب الفيروز أبادي، بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز/ تحقيق: محمّد علي النّجار، مطابع شركة الإعلانات الشّرقية، القاهرة– مصر.

١١–معجم مقاييس اللغة لابن فارس، شهاب الدين أبو عمرو دار الفكر العربي ١٩٩٤م / ١٤١٥هـ، ط بيروت.

١٢–مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد الزرقانى/ الشيخ، دار الكتاب، ١٩٩٥/هـ ١٤١٥العربى ط أولى.